ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه وفي
كبر مقتا ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه من حد اشكاله
من الكبائر وقرئ سلطان بضم اللام وقرئ قلب بالتنوين ووصف القلب بالتكبر
والتجبر لانه مركزهما ومنبعهما كما تقول رأت العين وسمعت الاذن ونحوه قوله عز وجل
فانه آثم قلبه وان كان الآثم هو الجملة ويجوز ان يكون على حذف المضاف اي على كل ذي
قلب متكبر بجعل الصفة لصاحب القلب قيل الصرح البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر
وان بعد اشتقوه من صرح الشيء اذا ظهر واسباب السموات طرقها وابوابها وما يؤدي اليها
وكل ما اداك الى شيء فهو سبب اليه كالرشا ونحوه فان قلت ما فائدة هذا التكرير ولو قيل
لعلي ابلغ الاسباب السموات قلت اذا ابهم الشيء ثم اوضح كان تفخيما لشانه فلما اراد
تفخيم ما امل بلوغه من اسباب السموات ابهمها ثم اوضحها ولما كان بلوغها امرا عجيبا اراد ان
يورده على نفس متشوقة اليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فابهمه ليشوق اليه
نفس هامان ثم اوضحه وقرئ فاطلع بالنصب على جواب الترجي تشبيها للترجي
بالتمني ومثل ذلك التزيين وذلك الصد زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل
والمزين اما الشيطان بوسوسته كقوله وزين لهم الشيطان اعمالهم فصدهم عن
السبيل او الله تعالى على وجه التسبيب لانه مكن الشيطان وامهله ومثله زينا لهم اعمالهم
فهم يعمهون وقرئ وزين له سوء عمله على البنا للفاعل والفعل لله عز وجل دل عليه قوله
الا في تباب وصد بفتح الصاد وضمها وكسرها على نقل حركة العين الى الفا كما قيل والتباب
الخسران والهلاك قال اهدكم سبيل الرشاد فاجمل لهم ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير
شانها لان الاخلاد اليها هو اصل الشر كله ومنه تتشعب جميع ما يؤدي الى سخط الله
ويجلب الشقاوه في العاقبه وثنى بتعظيم الاخره والاطلاع على حقيقتها انها هي
الوطن والمستقر وذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منها ليثبط عما
يتلف وينشط عما يزلف ثم وازن بين الدعوتين دعوته الى دين الله الذي
ثمرته النجاه ودعوتهم الى اتخاذ الانداد الذي عاقبته النار وحذر وانذر واجتهد
في ذلك واحتشد لا جرم ان الله استثناه من آل فرعون وجعله حجة عليهم
وعبرة للمعتبرين وهو قوله فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب وفي هذا
ايضا دليل بين على ان الرجل كان من آل فرعون والرشاد نقيض الغي وفيه تعريض
شبيه بالتصريح ان ما عليه فرعون وقومه سبيل الغي فلا يجزى الا مثلها
لان الزيادة على مقدار جزاء السيئة قبيح لانها ظلم واما الزيادة على مقدار
جزاء الحسنة فحسنة لانها فضل وقرئ يدخلون ويدخلون بغير حساب
واقع في مقابلة الا مثلها يعني ان جزاء السيئة له حساب وتقدير لئلا يزيد

على الاستحقاق

مقرا
مطلب ويا قوم مالي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار

على الاستحقاق فاما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة
على الحق والسعة فان قلت لم كرر نداء قومه ولم جاء بالواو في النداء الثالث
دون الثاني قلت اما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وايقاظ عن سنة الغفلة
وفيه انهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم وهو يعلم وجه صلاحهم ونصيحتهم
عليه واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ويستدعي بذلك ان لا يتهموه فان سرورهم
سروره وغمهم غمه وينزلوا على تنصيحه لهم كما كرر ابراهيم صلى الله عليه وسلم في نصيحة
ابيه يا ابت واما المجي بالواو العاطفة فلان الثاني داخل على كلام هو بيان للمجمل
وتفسير له فاعطي الداخل عليه حكمه في امتناع دخول الواو واما الثالث فداخل
على كلام ليس بتلك المثابة يقال دعاه الى كذا ودعاه له كما يقال هداه الى الطريق يق
وهداه له به على علم اي بربوبيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال
واشرك به ما ليس باله وما ليس باله كيف يصح ان يعلم الها لا جرم مبنيا ده
على مذهب البصريين ان يجعل ردا لما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى
حق وان مع ما في حيزه فاعله اي حق ووجب بطلان دعوته او بمعنى كسب
من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم ان تعتدوا اي كسب ذلك الدعاء اليه
بطلان دعوته على معنى انه ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته ويجوز
ان يقال ان لا جرم نظير لا بد فعل من الجرم وهو القطع كما ان بدا فعل من
التبديد وهو التفريق فكان معنى لا بد انك تفعل كذا بمعنى لا بعد لك
من فعله فكذلك لا جرم ان لهم النار لا قطع لذلك بمعنى انهم ابدا يستحقون النار
لا انقطاع لاستحقاقهم ولا قطع لبطلان دعوة الاصنام اي لا تزال باطلة
لا ينقطع ذلك فينقلب حقا وروي ان العرب تقول لا جرم انه يفعل
بضم الجيم وسكون الرا بزنة بد وفعل وفعل اخوان كرشد ورشد وعدم وعدم
ليس له دعوة معناه انما تدعونني اليه ليس له دعوة الى نفسه قط اي من
حق المعبود بالحق ان يدعو العباد الى طاعته ثم يدعو العباد اليها اظهارا
لدعوة ربهم وما تدعون اليه والى عبادته لا يدعو هو الى ذلك ولا يدعي
الربوبية ولو كان حيوانا ناطقا لضج من دعائكم وقوله في الدنيا ولا في الاخرة
يعني انه في الدنيا جماد لا يستطيع شيئا من دعاء غيره وفي الاخرة اذا انشاه
الله حيوانا تبرا من الدعاة اليه ومن عبدته وقيل معناه ليس له استجابة دعوة
تنفع في الدنيا ولا في الاخرة او دعوة مستجابة جعلت الدعوة التي لا استجابة
لها ولا منفعة كلا دعوة او سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمي الفعل

Copyright © King Saud University